بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

نهضت الدول الإسلامية نهضة قوية ملحوظة فى العصر الحديث ، وهى تسعى جاهدة إلى التحرر الكامل والرقى الشامل ، وتحاول دائبة أن تقود سفينتها إلى بر السلامة والمجد ، وتبذل كل ما فى وسعها لبلوغ العزة والسؤدد ، واسترجاع ماضيها التليد ، وحضارتها الراقية الفاضلة ، وترغب صادقة فى التجمع والتآلف للوقوف صفا واحداً فى وجه مؤامرات المستعمرين الطامعين والشيوعيين الملحدين ، والصهيونيين الكارهين الحاقدين .

وبلوغ هذا الهدف المنشود أمر ميسور إذا تمسك المسلمون بمبادئ دينهم ، وغيروا ما بأنفسهم ، لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فبالإسلام عزوا وسادوا ، وبالبعد عن تعاليمه ، والتهاون فى تطبيق مبادئه ذلوا وهانوا ، وتلك سنة الله فى خلقه ، وهى سنة لا تتغير ولا تتبدل حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد بذل المصلحون المخلصون من أبناء الدول الإسلامية جهوداً طيبة فى الدعوة إلى التحرر والرقى والتجمع والتآخى من أجل التخلص من براثن الاستعمار وإحباط مؤامرات أعداء الإسلام والمسلمين حتى يتحقق للشعوب الإسلامية ما تصبو إليه من عزة ومجد وسؤدد ، وتسير على صراط الله المستقيم الذى يقودها إلى السعادة فى الدنيا والآخرة .

لقد كان هؤلاء المصلحون المخلصون روادا قادوا شعوبهم فى طريق النجاة والفلاح ، مما يجعل الحديث عنهم والتعريف بهم وبجهادهم ضروريا فى كل وقت وحين ليستفيد الخلف من تجاربهم ، ويواصلوا السير فى طريقهم ، ويحققوا ما كانت تصبو إليه نفوسهم من أهداف نبيلة وغايات سامية ، ويعدوا ذلك أروع إحياء لذكراهم ، وخير تسجيل لأعمالهم ، وأعظم إشادة بمسعاهم .

والشئ الذى لا شك فيه أن جمال الدين المعروف بالأفغانى يعد من رواد الإصلاح ، فقد قضى حياته كلها داعيا إلى توحيد العالم الإسلامى ، وتحرير شعوبه من الاستعمار والاستغلال والغفلة والضياع ، ووفق إلى حد كبير فى دعوته الإصلاحية التى جعلته يزور كثيرا من الدول الإسلامية والشرقية والأوربية ، ويتصل بساستها وقادة الفكر فيها ، مما جعل اسمه يذيع ذيوعا عجيبا ، فصار يعد من المصلحين العالميين الذين حاولوا توجيه سير التاريخ ، وتغيير مجرى الحياة فى البلاد التى عاشوا فيها ، وكان هدفه الأسمى رقى الشعوب الإسلامية ، وارتفاع قدرها وعلو شأنها ، حتى يستعيد المسلمون أمجادهم القديمة ، ويقودوا ركب البشرية ، وتكون لهم حضارة زاهرة فاضلة ، تسعد بها الإنسانية فى الدنيا والآخرة .

وهذا – وحده – كاف لجعل الحديث عن جمال الدين ضروريا فى كل حين ، وجعل شخصيته جديرة بالدراسه فى تاريخ الشرق الحديث ، وما ظهر فيه من حركات إصلاحية ، ولهذا رأيت من المفيد أن أضيف حلقة جديدة إلى سلسلة الدراسات التى تمت – حتى الآن – عن جمال الدين ودعوته الإصلاحية ، لأن شخصيته فيها جوانب مازالت فى حاجة إلى تسليط الضوء عليها ، لكشف الخفى منها ، حتى تتضح على حقيقتها ، فتتكامل المعلومات اللازمة عن هذا المصلح الكبير ، لأن الحقيقة العلمية هى غاية الدارسين .

وقد يسر الله لى فى أثناء عامين قضيتهما بكلية الآداب بجامعة طهران أن ألِمَّ بمعلومات جديدة عن جمال الدين وأن أزور مسقط رأسه أسد آباد بالقرب من همدان ، وأزور المدرسة الجمالية التى سميت باسمه فى هذه البلدة التى مازال أفراد أسرته يعيشون فيها ، كما عثرت على نسخة من الكتاب الذى ألفه – بالفارسية –

ميرزا لطف الله خان الأسد آبادى ابن أخت جمال الدين وضمنه معلومات مفيدة عن هذا المصلح الكبير الذى عرف فى الشرق والغرب بجمال الدين الأفغانى .

ورأيت واجبا على أن أنقل الكتاب المذكور إلى اللغة العربية حتى يطلع عليه كل من يعرف العربية ، ويلم بما فيه من معلومات تلقى ضوءا كاشفا على شخصية جمال الدين ، وتساعد على تقويم أعماله تقويما صحيحا ، وتزيد قدره رفعة ، ومقامه شموخاً ، جزاء لما بذله من تضحيات فى سبيل إنجاح دعوته الإصلاحية التى دفع حياته – فى النهاية – ثمنا لها كما يفعل المجاهدون المخلصون الذين يضحون بأرواحهم من أجل إسعاد غيرهم ، ورقى عالمهم الإسلامى ، بعد توحيد صفوف المسلمين .

وقد حاول جمال الدين الاستفادة من نبوغه وعبقريته فى الدعوة إلى الإصلاح على أساس دينى اجتماعى سياسى ، فزار عددا من الدول الإسلامية والشرقية والغربية ، مما يسر له الاطلاع على أحوال المسلمين عن قرب ، ودراستها دراسة واقعية ميدانية ، فهاله ما رآه من تفكك العالم الإسلامى وتخاذله ، بينما العالم الغربى المعادى للإسلام والمسلمين تشمله نهضة علمية قوية تجعله يتقدم بخطا واسعة فى طريق التطور الشامل ، والرقى المادى الواضح ، ويتطلع إلى العالم الإسلامى بعيون شرهة لا ترضى بغير التهامه بديلا .

وكانت شعلة النهضة الغربية المادية تحمل نارا ونورا ، نارا اكتوى بها العالم الإسلامى احتلالا واستغلالا ، ونورا خلب أنظار الضالين الحيارى من أبناء العالم الإسلامى ، فخدعوا بمظاهر الحضارة المادية الغربية ، وانقادوا لها ، وقلدوها تقليدا أعمى ، فاقتبسوا ما فيها من مفاسد فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فانحرفوا عن صراط الله المستقيم ، وضلوا ضلالا مبينا ، فازدادوا ضعفا وتخاذلا .

وقد هيأ هذا الفساد – الذى ظهر فى العالم الإسلامى – الجو المناسب لدعوة جمال الدين الإصلاحية ، فصادفت هوى فى نفوس الناس الراغبين فى الإصلاح والاستقامة على طريق الله فى البلاد الإسلامية المختلفة التى زارها ، فتقبلوها بقبول حسن ، وأنبتوها نباتا حسنا ، فآتت أكلها يقظة وعملا على تحرير

بلاد المسلمين من براثن المستعمرين وشباك المفسدين ، مما جعل الشعوب الإسلامية تنظر إلى جمال الدين نظرتها إلى المحرر المنقذ الذى يسعى جاهدا إلى تبديل ضعفها قوة،وتفككها وحدة وتماسكا ، ويدفعها إلى الأخذ بأسباب القوة والازدهار والتقدم والاستقرار .

ولم يكن الطريق سويا سهلا أمام جمال الدين ، فلاق فيه ما يلاقيه المصلحون – عادة – من ألوان العنت والاضطهاد ، غير أنه وفق بجلده وثباته ومثابرته إلى إيصال أفكاره ومبادئ دعوته الإصلاحية إلى العقول المتحررة فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، فصار له تلاميذ فى كل قطر زاره ، وأصبح له معجبون فى هذه الأقطار الإسلامية ، حاولوا نشر آرائه ، وشرح أفكاره ، وتهيئة الأرض الصالحة لإنباتها ورعايتها حتى تؤتى أكلها بين الحين والحين بإذن ربها ، فينتفع بها المسلمون ، ويطبقها المصلحون ويستقيم بها المنحرفون والضالون .

فليس عجيبا أن نرى الشعوب الإسلامية تقدر جمال الدين ، وتعتز به ، وتعده من مفاخرها ، وملكا لها جميعا ، فتعنى بدراسته ، وتسعى إلى تسجيل أفكاره وآرائه ، وتحاول نشرها وإخراجها إلى حيز التنفيذ وتعمل على تمجيد ذكراه ، وترى فى هذا دليلا على يقظتها ، وبرهانا على حيويتها واستعدادها للسير فى طريق الرقى والازدهار .

وهكذا صار لزاما على الدارسين أن يكشفوا جوانب شخصية جمال الدين ، كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، حتى تتضح الحقيقة العملية التى هى الغاية المنشودة للباحثين مهما اختلفت أجناسهم ، وتباينت ألسنتهم وألوانهم .

وهذا هو الدافع الذى دفعنى إلى الإقدام على ترجمة كتاب لطف الله ابن أخت جمال الدين من الفارسية إلى العربية ، حتى أساعد الدارسين على كشف حقيقة جمال الدين المعروف بالأفغانى ، وإلقاء الضوء على جانب من جوانب شخصية هذا المصلح المشهور ، يتصل بأصله ونسبه ومذهبه الدينى ، لأضيف بذلك حلقة جديدة إلى سلسلة الدراسات الكثيرة المفيدة التى تتصل به ، وتدور حوله ، حتى تكون معرفة الناس بجمال الدين تامة وكاملة وتكون فكرتهم عنه

صحيحة ، فيكون حكمهم على أعماله منصفا ودقيقا ، وحتى تتضح جهوده وتضحياته ، فتُقدرَّ أعماله تقديرا صحيحا .

وقد ثبت لى بعد زيارة « أسد آباد » مسقط رأس جمال الدين والتعرف على الأحياء من أفراد أسرته ، وبعد ترجمة الكتاب الذى ألفه ابن أخته « لطف الله » وقراءة ودراسة ما نشر من رسائل جمال الدين أنه كان إيرانيا من أهل أسد آباد بالقرب من همدان ، وأنه كان شيعيا جعفرى المذهب[1] ، وهذه هى حقيقة ذلك المصلح الكبير ، الذى حاول إنقاذ العالم الإسلامى فى عصره من التفكك والضعف والاستعمار والاستغلال .

وما ثبت لى يغاير ما اشتهر من أمر جمال الدين ، فهو معروف بانتسابه إلى بلاد الأفغان ، وبأنه سنى المذهب ، وقد كان هو نفسه يحرص على تلقيب نفسه بالأفغانى ، كما كان يفضل الظهور فى صورة عالم من علماء أهل السنة فى البلاد الإسلامية المختلفة التى زارها – غير وطنه الأصلى إيران – وكان حرصه هذا لازما لإنجاح دعوته الإصلاحية ، ونشر أفكاره فى الدول الإسلامية الخاضعة لسلطان الدولة العثمانية ، مقر الخلافة الإسلامية .

وقد راج انتساب جمال الدين إلى بلاد الأفغان رواجا طاغيا غطى الحقيقة التى أثبتتها الدراسة العلمية المنصفة والأدلة المادية الملموسة الشاخصة .

وأحب أن أقول – هنا – إننى حين أكشف هذا الجانب من جوانب شخصية جمال الدين ، وأثبت ما أقرره بالأدلة الواضحة – التى لا تقبل شكا ولا جدلا – أننى – شخصيا – فوجئت بظهور هذه الحقيقة ، ولكنى رأيت أن

---

(١) المذهب الجعفرى : هو المذهب الرسمى فى إيران منذ بداية العصر الصفوى فقد أعلن الشاه إسماعيل الصفوى – مؤسس الدولة الصفوية الشيعية – المذهب الجعفرى مذهبا رسميا لإيران فى عام ٩٠٧هـ أى منذ خمسة قرون تقريبا ، ولا يزال هذا المذهب هو المذهب الرسمى فى إيران إلى يومنا هذا ، وهو منسوب إلى جعفر الصادق الإمام السادس عند الشيعة الإمامية .

والشيعة الإمامية هم الشيعة الإثنا عشرية الذين يعتقدون فى اثنى عشر إماما أولهم على بن أبى طالب وآخرهم محمد بن الحسن العسكرى وهو الإمام الغائب صاحب الزمان الذى ينتظر الشيعة ظهوره فى منتصف شعبان من كل عام (المترجم) .

من الواجب ذكرها ، لأن إثبات الحقيقة هو غاية ما يهدف إليه الدارسون – كما ذكرت – فليس لى من هدف من وراء ذكرها وإثباتها إلا خدمة العلم ، وتصحيح خطأ شائع متعارف بين الناس ، بلغ من الرواج درجة جعلته يطغى على الحقيقة .

ولا يؤثر إثبات حقيقة جمال الدين فى مكانته شيئا ، ولا يحط من قدره ذرة بل لعل ذكر حقيقته يرفع من مكانته ، ويزيد من قدره ، ويبين مدى النجاح الذى حققه فى دعوته الإصلاحية لتحقيق الوحدة الإسلامية برغم كونه شيعيا ، تعترض طريقه العوائق والعقبات وتحاك ضده المؤامرات .

والشئ الذى لاشك فيه أن شخصية جمال الدين ملك للأمم الإسلامية جميعا ، فسواء كان أفغانيا سنيا أم إيرانيا شيعيا ، فإنه مصلح إسلامى شرق ، وبطل من أبطال تحرير المسلمين والشرق ، يزهو به كل مسلم ويعتز به كل شرقى أيا كان موطنه .

ولا يضير هذا قطرا مسلما مجاهدا عزيزا كأفغانستان ، لأنها كانت هى وإيران دولة واحدة فى أكثر عصور التاريخ الإسلامى ، وهما تشتركان فى الدين وفى اللغة وفى كثير من ألوان التراث الإسلامى الذى يفتخر به المسلمون فى كل زمان ومكان على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم ، وقد عاش فيهما كثير من علماء المسلمين فى مختلف العلوم والفنون ، ممن تفخر بهم الحضارة الإسلامية بخاصة ، وحضارة البشرية بعامة .

فلن يضير أى قطر إسلامى إثبات أصل جمال الدين ومذهبه مادامت الأقطار الإسلامية جميعها تعده ملكا لها ، وجزءا من مفاخرها ، بل إننى أعتقد أن الدارسين – أينما وجدوا – يرحبون بإثبات هذه الحقيقة وكشفها وتوضيحها وتحريها ، حتى تكون نتائج دراساتهم صحيحة مفيدة ، ذات قيمة علمية ملموسة ، والله الموفق والهادى إلى طريق الصواب .

وإن الأدلة التى تثبت أن جمال الدين إيرانى شيعى جعفرى المذهب كثيرة وقاطعة ، وسأكتفى بذكر أهمها فيما يلى :

أولا : وجود عائلة جمال الدين فى إيران وانعدام أى أثر لها فى أفغانستان .

من البديهيات أن عائلة الإنسان – أو جزءا منها على الأقل – توجد فى موطنه الأصلى ولو كان جمال الدين أفغانيا – كما هو معروف ومشهور – لبقيت عائلته – أو نفر منها فى أفغانستان ، ولوجد من يدعى القربى أو النسب والصلة بهذه العائلة الكريمة ، التى خرج منها مصلح كبير مشهور مثل جمال الدين ، لأن ثبوت الصلة بعائلة كهذه من دواعى الشرف والتفاخر .

فهل توجد فى أفغانستان بقية من عائلة جمال الدين ؟! .. الواقع أنه لايوجد أثر لهذه العائلة فى بلاد الأفغان ، وهذه حقيقة لاينكرها الأفغان أنفسهم ، بل إن منهم من يعترف بأن جمال الدين إيرانى شيعى المذهب – فى الحقيقة – ، فقد اعترف الأمير عنايت الله خان عم أمان الله خان ملك الأفغان الأسبق بأن جمال الدين إيرانى الأصل شيعى المذهب بعد أن اقتنع بصحة هذا الأمر ، وقد حرص الأمير المذكور فى أثناء سفره من طهران إلى بغداد على النزول فى قرية أسد آباد بالقرب من همدان ، حيث ولد جمال الدين ، ومكث فى هذه القرية بعض الوقت ، اجتمع فى أثنائه ببعض أفراد أسرة جمال الدين الذين يعيشون فيها ، وتحدث معهم ، ثم زار قبور أجداد جمال الدين ، والدار التى ولد فيها ، ولم يغادر أسد آباد إلا بعد تأكده من أن جمال الدين إيرانى الأصل شيعى المذهب ، وقد رويت أنباء هذه الزيارة عن الأمير المذكور وأمرها معروف ، لا ينكره الأفغان أنفسهم ، مما يدل دلالة قاطعة على أن جمال الدين كان إيرانى الأصل ، شيعى المذهب ، وأن اشتهاره بالأفغانى كان من وسائل خدمة دعوته الإصلاحية وتيسير انتشار أفكاره فى الدول الإسلامية السنية .

إن وجود عائلة جمال الدين فى إيران دليل قوى على أنه إيرانى ومازال أفراد هذه العائلة يعيشون فى حى « سيدان »[1] بقرية أسد آباد بالقرب من همدان ،

(١) « سيدان » الجمع الفارسى لكلمة سيد أى « السادة » وهذه الكلمة من الألقاب الخاصة بالأشراف الذين ينتسبون إلى أسرة رسول الله – ﷺ – وقد كان نسب جمال الدين يتصل بالحسين بن على – رضى الله عنهما – ، ولذلك كان جمال الدين يحرص على أن يوقع على مقالاته باسم جمال الدين الحسينى (المترجم) .

وهى معروفة باسم الأسرة الجمالية .

وقد تأكدت – أنا شخصيا – من هذا الأمر حين زرت هذه القرية فى خريف عام ١٩٥٠ ؛ وكان من أفراد عائلة جمال الدين المشهورين – حينذاك – السيد هادى روح القدس ، وميرزا[٢] لطف الله ، وميرزا شريف خان ، وعطاء الله خان ، وصفات الله ، ونصر الله ، وفتح الله ، وسعد الله ، وقد اشتهروا جميعا بلقب الجمالى نسبة إلى جمال الدين .

كما يجد الزائر للقرية مدرسة اسمها « المدرسة الجمالية » أنشأتها وزارة التربية والتعليم الإيرانية فى مسقط رأس جمال الدين ، وسمتها باسمه تمجيداً له ، وتخليداً لذكراه .

ومما يتفق مع العقل والمنطق بعد هذا الدليل المادى الملموس أن يكون جمال الدين إيرانيا شيعيا ، وأن يتساءل الباحثون : لماذا انتسب جمال الدين إلى بلاد الأفغان ، وحرص هو نفسه على هذا الانتساب ؟! . .

والإجابة على هذا السؤال ليست صعبة ، فقد أدرك جمال الدين بفطنته أن انتسابه إلى بلاد الأفغان السنية المذهب ييسر مهمته فى دول العالم الإسلامى السنية المذهب وبخاصة تركيا ومصر لأن هذا الانتساب يضفى عليه صفة العالم الدينى السنى ويمكنه من دخول الدول السنية المختلفة معززا مكرما ، ويفتح لدعوته آذان الناس وقلوبهم فى هذه الدول ، فى عصر اشتد فيه التعصب المذهبى ، وكان يكفى أن يعرف المسلمون فى العالم السنى أن جمال الدين إيرانى شيعى فلا يلتفت أحد إليه ، ولا يصغى لدعوته الإصلاحية ، مهما أوتى من علم ومنطق وبيان واضح .

لهذا فضل جمال الدين الانتساب إلى بلاد الأفغان لأمر يتعلق بدعوته الإصلاحية فقد خشى أن يؤدى كونه إيرانيا شيعيا إلى وضع العراقيل فى طريقه ، ويحول دون نشر دعوته ، وبلوغها الهدف المنشود .

---

(٢) « ميرزا » لقب فارسى مركب مكون من كلمتين « مير » بمعنى الأمير و « زا » من « زاده » بمعنى ابن . وكان هذا اللقب يطلق – قديما – على الأمراء والنبلاء ، ثم أصبح لقبا علميا ، يطلق على كبار الأساتذة والعلماء والأدباء . (المترجم) .

وقد يسر الله له الانتساب إلى الأفغان ، فقد رحل إلى بلاد الأفغان فى بداية تجواله فى العالم الإسلامى ، وأقام فيها بضع سنوات ألف فى أثنائها كتابا سماه ، « تاريخ الأفغان » ولقب - بسبب إقامته فى هذه البلاد - بالأفغانى ، فأصبح مكروها من حكام إيران - حينذاك - وعلى رأسهم ناصر الدين شاه ملكها فى ذلك الوقت ، أى أن الظروف التى عاش فيها جمال الدين فرضت عليه أن يختار لقب الأفغانى ، ويحرص على الانتساب إلى بلاد الأفغان ، ويفضله على الانتساب إلى بلاده إيران حتى يتيسر له السير فى الطريق الذى يريده ، ويحقق الأهداف التى يرمى إليها ، ويرشد الشعوب الإسلامية المختلفة إلى كيفية تحقيق الوحدة والتخلص من الاستعمار والاستغلال ، واستعادة المجد القديم ، على أساس من كتاب الله الكريم ، وهدى نبيه العظيم .

ثانيا : اسم والد جمال الدين دليل على أنه إيرانى شيعى :

من المعروف لدى الدارسين أن هناك أسماء لا يسميها إلا الشيعة منها « صفدر » وهو اسم والد جمال الدين ، وهو اسم فارسى مركب من كلمتين هما « صف » العربية و « در » الفارسية التى معناها « ممزق » أو « مفرق » ومعنى اسم « صفدر » « ممزق الصفوف » أى الشجاع البطل الذى يمزق صفوف الأعداء فى ميدان القتال .

وقد أسند الإيرانيون الشيعة هذه الصفة إلى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - لما كان يبديه فى الحروب من بسالة عجيبة ضد المشركين واتخذ الشيعة هذه الصفة اسما لأبنائهم تيمنا بإمامهم على بن أبى طالب ، فتسمية والد جمال الدين بصفدر دليل على أنه إيرانى شيعى ، لأنه لايوجد لاسم « صفدر » مسمى فى أفغانستان ، كما لايوجد له مسمى فى أى بلد سنى آخر ، فهو لايوجد إلا بين الشيعة ، كما أن اسم « عمر » مثلا لا يوجد إلا فى البلاد السنية .

ثالثا : نشأة جمال الدين وأسلوب تحصيله يثبتان أنه إيرانى شيعى :

للشيعة طريقة معينة فى تنشئة أبنائهم ، وأسلوب خاص فى تعليمهم خاصة إذا كانوا يعدونهم للدعوة وليصيروا من علماء المذهب الشيعى ، فلابد من إرسالهم إلى النجف وكربلاء بالعراق حيث دفن على بن أبى طالب وابنه الحسين – رضى الله عنهما – لطلب العلم هناك والتتلمذ على كبار علماء الشيعة الذين يتجمعون فى هذه المنطقة التى تعرف عندهم بالعتبات المقدسة .

وللشيعة أسلوب معين فى التحصيل هو الاهتمام بدراسة العلوم التى تساعد على الجدل كالفلسفة والمنطق وعلم الكلام إلى جانب دراسة العلوم الدينية البحتة كالحديث والتفسير والفقه ، ودراسة علوم أخرى كالتاريخ وعلوم اللغة العربية والرياضيات .

والمتتبع لنشأة جمال الدين وأسلوب تحصيله يدرك أنه إيرانى شيعى لا أفغانى سنى ، فقد ولد فى عام ١٨٣٩ م (١٢٥٤ هـ) وظل فى المنزل حتى سن العاشرة يعكف على حفظ القرآن الكريم ويعلمه والده مبادئ اللغة العربية ، ثم حمله والده إلى قزوين فى عام ١٨٤٩ م (١٢٦٤ هـ) حيث التحق بمدرسة قزوين ، وكان والده يعمل مدرسا بها ، فمكث فيها عامين ثم رحل فى عام ١٨٥١ م (١٢٦٦ هـ) إلى طهران ، ليدرس المذهب الشيعى بواسطة أكبر علماء طهران فى ذلك الوقت وكان يسمى على آقاسيد صَادق[1] ، ثم رحل جمال الدين بعد ذلك إلى العراق ليدرس فى النجف ، وهى المدينة التى تضم رفات إمام الشيعة الأول على ابن أبى طالب – رضى الله عنه – وتعد موطن العلم والعلماء فى نظر الشيعة ، كما تعد مركزالدراسات العليا فى المذهب الشيعى ، حيث توجد فيها كلية لدراسة المذهب الشيعى والتخصص فيه ، يحج إليها كل من يريد التخصص فى علوم الدين من وجهة النظر الشيعية ، وكل من يرغب فى بلوغ مرتبة الاجتهاد من

---

(١) « اقا » كلمة – فارسية – معناها « السيد » وتنطق « القاف غينا » . (المترجم) .

علماء الشيعة حيث يتتلمذ على يد أحد المجتهدين من علماء الشيعة من الذين يلقب الواحد منهم بآية الله ويلقب رئيسهم بآية الله العظمى .

وقد أقام جمال الدين فى النجف أربع سنوات ، تتلمذ فى أثنائها على الشيخ مرتضى الأنصارى أحد كبار علماء الشيعة المعروفين فى ذلك الوقت ، وحاول الإلمام بقسط وافر من العلوم الفلسفية ، والتوسع فى دراسة المنطق وعلم الكلام إلى جانب دراسة الفقه وعلم الأصول .

وهكذا سلك جمال الدين فى دراسته مسلك الشيعة فى الدراسة فدرس – إلى جانب العلوم الدينية – علوما تهبه قوة فى الجدل والاستدلال – كما تهبه قدرة على البحث والنقاش والتلاعب بالألفاظ ومدلولاتها لتخدم أغراضه وهو يجادل خصمه ، أو يحاول إقناع من يريد أن يقنعه بفكرة معينة .

وهذا الأسلوب فى تحصيل العلم عند الشيعة يختلف عن أسلوب الدراسات الدينية عند أهل السنة لأن طلبة العلم عندهم يقتصرون فى دراستهم على الفقه وأصول الفقه مع توسع ملحوظ فى الحديث والتفسير واللغة العربية والأدب .

وقد كانت دراسة جمال الدين على الطريقة الشيعية مما جعل قوته فى الحكمة والمنطق والجدل من الظواهر التى لفتت إليه الأنظار فى الأوساط العلمية فى مصر وتركيا ، فوجد طلاب العلم فيه لونا جديدا لم يألفوه من قبل ، فالتفوا حوله ، وتعلقوا به ، ومالت أفئدتهم إليه ، وتفاخروا بالتتلمذ عليه ، وتساوى فى هذا الميل طلاب العلم وعلماء الأزهر وخريجو المعاهد المصرية العليا ، ومن أشهر من تتلمذوا عليه فى مصر محمد عبده وسعد زغلول .

وإن نشأة جمال الدين والطريقة التى اتبعها فى دراسته وألوان ثقافته لتدل جميعها على أنه كان إيرانيا شيعيا ولم يكن أفغانيا سنيا .

رابعا : اشتراك جمال الدين فى توجيه الأحداث فى إيران دليل على إيرانيته :

إن المتتبع لأطوار حياة جمال الدين يستطيع أن يدرك بسهولة أنه إيرانى شيعى ، فقد اهتم بإيران أكثر من اهتمامه بأى قطر إسلامى آخر ، وكان يحاول

إصلاح أحوالها ، وجعلها المصدر الذى يغذى حركته الإصلاحية فى العالم الإسلامى ، أملا فى توحيد صفوف المسلمين ودفعهم إلى التقدم والرقى ، واستعادة أمجادهم ، وسالف عزتهم .

وحب الوطن غريزة فطرية فى الإنسان لا يستطيع أى إنسان مقاومة هذا الحب مهما جار الوطن عليه ، لأنه شئ يستقر فى القلب ، ويظهر فى السلوك والتصرفات ، مهما حاول الإنسان إخفاءه ، وهذا أمر لوحظ بسهولة فى تصرفات جمال الدين ، فقد كان يحن دائما إلى إيران ويسعى جاهداً إلى دخولها كلما أقصى عنها ، ويراقب سير الأحداث فيها ، ويساهم فى توجيه هذه الأحداث .

وكانت تصرفات جمال الدين – فى أثناء إقامته فى تركيا – تثبت أنه إيرانى شيعى ، فقد كان أكثر من يضمهم مجلسه فى إسلامبول من الإيرانيين ، مثل : ميرزا حسن خان خبير الملك ، والشيخ أحمد روحى ، وميرزا اقا خان الكرمانى ، وزين العابدين المراغى ، والسيد توفيق الهمدانى ، وحسين دانش الأصفهانى .

ومما يثبت إيرانيته أنه اشترك فى تدبير مؤامرة للتخلص من ناصر الدين شاه ملك إيران – المعاصر لجمال الدين – لاعتقاده أن هذا الملك عقبة تحول بين جمال الدين وبين نجاح دعوته الإصلاحية وبلوغها أهدافها المنشودة ، وكان قتل ناصر الدين سببا فى افتضاح أمر جمال الدين وكشف حقيقة أنه إيرانى شيعى ، مما جعل السلطان العثمانى يتخلص منه فى النهاية ، لأن خصوم جمال الدين حين فكروا فى القضاء عليه لم يجدوا شيئا يتهمونه به إلا أنه إيرانى شيعى يكذب ويدعى أنه أفغانى سنى حتى يجد له طريقا فى تركيا والأقطار السنية الأخرى ؛ وهذا ما فعله أعداء جمال الدين فى إسلامبول ، وعلى رأسهم شيخ الإسلام أبوالهدى ، فقدموا وثيقة تثبت أن جمال الدين إيرانى شيعى ، واستطاعوا بواسطتها تغيير رأى السلطان العثمانى خليفة المسلمين السنيين فى جمال الدين ، فقضى عليه وأسدل الستار على قصته ، وهذا دليل على ثبوت أصل جمال الدين ، وأنه إيرانى شيعى .

والواقع أن جمال الدين كان إيرانيا فى طبعه وتفكيره وتصرفاته ، فبالرغم من كثرة أسفاره فإنه كان يحاول دائما الرجوع إلى وطنه إيران حتى لو تحمل الأذى والهوان من أجل البقاء فى إيران ، وهذا أمر لايستغرب من إنسان تجاه

وطنه ، لأن الإنسان بفطرته يسترخص كل بذل من أجل وطنه ، ولا يخرج منه إلا مكرها ، وهذا ما حدث لجمال الدين ، فقد كان يسعى للعودة إلى إيران كلما أخرج منها غير أنه أدرك أن الظروف فى إيران لا تمكنه من القيام بأى نشاط ولا تيسر له نشر دعوته الإصلاحية فيها ، وتحقيق أهدافه التى ينشدها ، وأن بلدته أسد آباد أضيق من أن يقيم فيها ، فدفعه هذا كله إلى حب الأسفار ، وزيارة البلاد الإسلامية لنشر دعوته الإصلاحية فيها ، أملا فى أن تتحقق أهدافه بهذه الوسيلة ، وعن هذا الطريق .

وقد روى ابن أخته لطف الله خان هذا عنه فقال[1] .

« وفد علينا بأسد آباد السيد الخال الأجل بعد عودته من الحج ، وكان ينوى الذهاب إلى خراسان لزيارة الإمام على الرضا[2] ، بمشهد ، فمكث عندنا ثلاثة أيام لتجديد العهد مع والده وأفراد أسرته ، فتعلقت به قلوب أبناء البلدة وطلب منه والده – الذى كان على قيد حتى ذلك الحين[3] . أن يغير من عزمه ، ويبقى فى أسد آباد ، ويعيش معهم فيها ، فاعتذر جمال الدين لوالده قائلا له : « إننى مثل صقر محلق يرى فضاء هذا العالم الفسيح يضيق أمام طيرانه ، وإنى أعجب منكم لأنكم تريدون أن تقيدونى فى هذا القفص الضيق الصغير »[4] .

وهذا يدل على أن جمال الدين كان منذ شبابه الباكر يحب السفر والتجوال فى البلاد الإسلامية المختلفة ، فلما تيسرت له أسباب السفر فيما بعد ، وجد أن انتسابه إلى إيران وظهوره فى مظهر شيعى ، يضعان العراقيل فى طريقه ، ويؤثران فى انتشار دعوته إلى إنشاء جامعة إسلامية ، فآثر الاستفادة من لقب الأفغانى

---

(١) ارجع إلى كتاب « المقالات الجمالية » ص ١١ وما بعدها ، وقد جمع هذه المقالات لطف الله الجمالى .

(٢) الإمام على الرضا هو الإمام الثامن عند الشيعة الأثنى عشرية . (المترجم) .

(٣) كان ذلك فى عام ١٨٥٥ م (١٢٧٠ هـ) .

(٤) نص عبارته بالفارسية هو .

« من مانند شـاهبازى هستم كه فضاى عالم ، باين وسعت، براى طيران أو تنك باشد ، تعجب دارم ازشماكه ميخوا هيد مرادراين قفس تنك وكوچك باى بند كنيد » المقالات الجمالية ، ص ١٢ .

– الذى ظفر به فى أثناء إقامته فى أفغانستان – ليتمكن من دخول البلاد الإسلامية السنية بسهولة ، ويستطيع نشر دعوته الإصلاحية ، والعمل على توحيد صفوف المسلمين ، وتوجيههم إلى طريق المجد والرقى .

وكان لقب الأفغانى خير لقب يستطيع جمال الدين الاحتماء به ، لأن أفغانستان بلاد سنية ، وكانت لغتها الرسمية – فى ذلك الوقت – هى اللغة الفارسية – كلغته هو – كما كان المذهب الرسمى فى أفغانستان هو المذهب الحنفى الذى هو فى الوقت نفسه المذهب الرسمى فى الدولة العثمانية ، دولة الخلافة الإسلامية السنية ، وكان التعصب المذهبى على أشده فى أثناء حكم السلطان عبد الحميد فى تركيا والشاه ناصر الدين فى إيران ، أى فى أثناء المدة التى زاول فيها جمال الدين نشاطه ، وكثر تحركه شرقا وغربا لنشر دعوته .

وهكذا استطاع جمال الدين أن يختفى بمهارة وراء لقب الأفغانى فيجد ترحيبا به فى تركيا ومصر ، ويتزعم علماء الأزهر فى مصر وهو إيرانى الأصل شيعى المذهب ، بل لقد حقق انتساب جمال الدين إلى بلاد الأفغان له هدفا آخر هو إبعاده عن طائلة ممثلى إيران وقناصلها فى الخارج ، وجعله تحت رعاية ممثلى إنجلترا التى كان لها نفوذ كبير فى أفغانستان ، وكانت ترعى مصالحها وأتباعها فى الخارج ، مما وفر شيئا من الحماية لجمال الدين ، ويسر له مهمة السفر إلى الأقطار الإسلامية السنية ، كما يسر له الإقامة فيها بعد طرده من إيران .

وقد ازداد تشبث جمال الدين بانتسابه إلى بلاد الأفغان حين ساءت علاقته بالمسئولين فى إيران ، حتى يبعد الشر والأذى عن أفراد أسرته فى أسد آباد ، فقد جرت العادة – فى ذلك الوقت – أن تؤخذ الأسرة بجرم أى فرد منها ، ولو أن هذا لم ينقذ أسرة جمال الدين من الأذى والاضطهاد بعد اتهامه بالاشتراك فى تدبير المؤامرة التى أدت إلى قتل الشاه ناصر الدين ، لأن جمال الدين كان – كما ذكرنا – يهتم بفطرته بالأحداث التى تجرى فى وطنه الأصلى إيران ، ويشارك فيها بفكره وتدبيره ، مما جعله يدفع حياته فى النهاية ثمنا لهذه المشاركة ، ومما يدل على أنه إيرانى الأصل شيعى المذهب برغم محاولته الاختفاء وراء انتسابه إلى بلاد الأفغان .

خامسا : تحدث جمال الدين الفارسية باللهجة الإيرانية دليل على إيرانيته :

من المعروف فى البلاد التى تتكلم لغة واحدة ، أن كل إقليم له لهجة خاصة به ، فاللهجة الأفغانية تختلف عن اللهجة الإيرانية ، وقد شهد كل من اتصل بجمال الدين واستمع إلى أحاديثه بأنه كان يتحدث الفارسية بلهجة إيرانية خالصة ، لا تشبه اللهجة الأفغانية ، مما يدل على أن جمال الدين احتفظ باللهجة الإيرانية حتى فى أثناء إقامته بضع سنوات فى أفغانستان مما يدل على تعصبه لوطنه الأصلى وللهجة التى يتحدث بها أهل وطنه .

وهناك شواهد أخرى تثبت هذا ، منها ما ورد فى كتاب « مردان خود ساخته » أى « الرجال العصاميون » فقد ذكر تقى زاده فى مقالته عن جمال الدين ما ترجمته .

« وقد عاش جمال الدين مدة من أوائل عمره فى أفغانستان غير أن الروايات الدقيقة ، والأدلة الكافية تثبت – دون تعصب – أنه كان إيرانيا ، وقد قابلت أشخاصا عديدين من ملازمى جمال الدين الإيرانيين ، فذكروا لى أنه كان يقول لهم بصراحة إنه إيرانى ، وكان يتحدث الفارسية بلهجة إيرانية أصيلة ... ومن الأشخاص الذين حدثونى عنه الكاتب القفقازى الشهير محمد آقا شاه تختنسكى وقد قال لى إن السيد كان يتحدث التركية باللهجة الهمدانية ، وبديهى أن انتشار هذه اللهجة فى نواحى كابل من الأمور المستبعدة »[1] .

كما أن أسلوب كتابته بالفارسية كان أسلوبا إيرانيا خالصا ، ويتضح هذا من « الرسالة الطبيعية » التى كتبها فى الرد على الدهريين[2] ، ومن غيرها من المقالات الكثيرة التى كتبها بالفارسية ؛ وقد نشر جزء منها فى كتاب « مقالات جماليه »[3]

---

(١) يمكن الرجوع إلى المقالة التى كتبها تقى زاده عن جمال الدين فى كتاب « مروان خود ساخته » طبع طهران ، ص ٤٤ .

(٢) اسم هذه الرسالة بالفارسية « رسالة نيجريه » (المترجم) .

(٣) طبع كتاب « مقالات جمالية » فى طهران فى سنة ١٣١٢ هـ . شمسية ، أى ١٣٥٢ هـ . قمرية أو ١٩٣٣ م .

أى « المقالات الجمالية » فمن يقرأ كتابات جمال الدين ، يستطيع أن يدرك فى سهولة أن أسلوب كتابته الفارسية أسلوب إيرانى خالص ، مما يدل على أنه كان إيرانيا شيعيا ولم يكن أفغانيا سنيا .

سادسا : اعتراف السلطان عبدالحميد بأن جمال الدين إيرانى دليل على إيرانيته :

سبق أن ذكرنا أن أحد كبار المسئولين الأفغانيين اعترف بأن جمال الدين إيرانى شيعى بعد أن زار البلدة التى ولد فيها والتقى بأفراد أسرته ، وكذلك اعترف السلطان العثمانى عبدالحميد بهذه الحقيقة بعد أن تأكد بنفسه من أن جمال الدين إيرانى شيعى ، بعد أن وصلته عريضة من أهل أسد آباد بهمدان تثبت أن جمال الدين إيرانى من بلدتهم وأنه ينتمى إلى إحدى العائلات المعروفة التى تسكن هذه البلدة .

وقد قدمت هذه العريضة للسلطان العثمانى بواسطة السفارة الإيرانية فى إسلامبول ، وقام السلطان باستدعاء جمال الدين للاستفسار عن مدى صحة ما جاء فى العريضة ، فلم يستطع أن ينكر أنه إيرانى الأصل شيعى المذهب ، فتغير رأى السلطان فيه ، وأعلن أنه إيرانى شيعى وليس أفغانيا سنيا كما يتظاهر بذلك ، وقرر السلطان التخلص منه بعد اكتشاف حقيقته .

واعتراف جمال الدين نفسه أمام السلطان بأنه إيرانى دليل قاطع على حقيقته ، لأنه لو كان أفغانيا لسارع بتكذيب ما جاء فى العريضة ، ولأرسل إلى أهله فى أفغانستان ليبعثوا إليه بشهادة رسمية تثبت أنه أفغانى ليدفع بها الأذى عن نفسه فى وقت كان جمال الدين يدرك فيه أن اكتشاف حقيقته قد يؤدى به إلى التهلكة .

ومما لا شك فيه أن رجلا كجمال الدين لم يكن من السذاجة بحيث لا يتوقع انتقاما من ملك إيران الشاه « مظفر الدين » بن الشاه « ناصر الدين » الذى اتهم جمال الدين بالاشتراك فى تدبير المؤامرة الذى انتهت باغتيال « ناصر الدين » ، وكان المغمز الوحيد الذى يمكن أن يغمز منه جمال الدين هو أنه إيرانى

شيعى يقيم فى كنف الدولة العثمانية السنية مدعيا أنه أفغانى سنى ، فى وقت كان التعصب المذهبى فيه مازال على أشده .

وكان كشف هذه الحقيقة كافيا لتغير رأى السلطان العثمانى فى جمال الدين ، وتغيير معاملة الدولة العثمانية له ، وهذا هو ماحدث فعلا بعد وصول العريضة الكاشفة للحقيقة -- كما ذكرنا – وانتهى الأمر بجمال الدين أن دفع حياته ثمنا لاكتشاف حقيقته ، وأصاب أفراد عائلته فى أسد آباد ما أصابهم من ألوان الاضطهاد والتنكيل .

وهذا دليل واضح على أن جمال الدين كان إيرانيا شيعيا ولم يكن أفغانيا سنيا ، كما راج بين الناس .

سابعا : كثرة إشادة جمال الدين بالإيرانيين تثبت أنه منهم :

ومما يثبت أن جمال الدين إيرانى كثرة تمجيده للإيرانيين وإشادته بذكائهم بصورة لم تشاهد فى وصفه للشعوب الأخرى التى زارها ، وكان له مريدون فيها ، فقد زار جمال الدين بلادا إسلامية وغير إسلامية ، شرقية وغربية ، وأقام مددا متفاوتة فى هذه البلاد ، وكان له فى كل بلد زاره مريدون وأصدقاء وتلاميذ ، كما شاهد مظاهر الحضارة الغربية المتقدمة فى جوانبها المادية ، ولكنه لم يسرف إلا فى ذكر إيران والإيرانيين ، ولم يمجد إلا ذكاء بنى وطنه ، برغم أنه زار – إلى جانب إيران – أفغانستان والعراق والحجاز والهند ومصر وتركيا وروسيا القيصرية والنمسا وفرنسا وإنجلترا وتعرف على ألوان نشاط شعوب هذه البلاد .

وكان جمال الدين يصرح – دائما – بأنه لولا فساد الحالة السياسية فى إيران ما غادرها طيلة حياتـه ؛ وقد ظل يمجد الإيرانيين برغم ما لاقاه من الحكومة الإيرانية ومن الملك الإيرانى من ألوان العنت والاضطهاد ، وكان يبدى حرصا عجيبا على إصلاح الحالة فى إيران ، فلما يئس من تحقيق هدفه فى ظل حكم الشاه « ناصر الدين » شجع على قتله اعتقادا منه بأنه أصل الداء وسر البلاء

ولعل من المفيد هنا أن نفصل الحديث – فى هذا الأمر – بعض الشئ ، لأن ما ذكر فى الكتاب موجز ، فمن الخير تفصيل الحديث حتى تتكشف جوانب الموضوع وتتضح الحقيقة .

فقد تصادف ظهور جمال الدين فى وقت كانت إيران فيه فى حالة اقتصادية بالغة السوء ، وكان النفوذ الأجنبى متغلغلا فيها ، فكانت مسرحا تتصارع فوقه الدول الكبرى – انجلترا وفرنسا وروسيا القيصرية – لخدمة مصالحها فى منطقة الشرق الأوسط ، بينما تتجاهل مصلحة الشعب الإيرانى ، لضعف حكامه وانقيادهم للأجانب .

وظهر نشاط جمال الدين – فى أقوى صوره – فى عصر الشاه ناصر الدين القاجارى الذى استمر حكمه ما يقرب من نصف قرن من الزمان ، ولم يكن ناصر الدين يهتم بإصلاح الأوضاع فى بلاده قدر اهتمامه برحلاته وملذاته ومصالحه الخاصة .

وكان كبار رجال دولته ينافقونه ليظفروا بمزيد من الثراء والجاه على حساب الشعب الإيرانى المطحون ، فلم يكونوا يطالبون بإصلاح أو تغيير للأوضاع الفاسدة ، فلما ظهر مصلح كجمال الدين أخذوا يشككون الملك فيه ، وفى دعوته الإصلاحية ، وفى حقيقة نواياه ، ويحذرونه من ثورة قد يدبرها ضده ، فلا يلبث الملك أن يغضب عليه ، ويأمر بإخراجه من البلاد .

وهذا ما حدث لجمال الدين أكثر من مرة ، فكان كلما زار وطنه إيران يبين فساد الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها ، ويطالب بإصلاح الأحوال بأسرع وقت ممكن ، فلا يلبث أن يجد صدودا من الشاه ناصر الدين ، لأن المحيطين به من المنافقين يخوفونه من جمال الدين ، ويحذرونه من خطورة دعوته ، فينفر منه ، ثم يضيق به ذرعا ، ويأمر بإخراجه من البلاد .

وقد أشار إلى هذا حسين عدالت فى رسالته التى كتبها عن جمال الدين ، فقال فيها .

« وحدث يوما أن رافق الصدر الأعظم « ميرزا أصغر خان أتابك » السيد جمال الدين فى أثناء ذهابه لزيارة ضريح « شاه عبد العظيم » بالرى[1] ، فأخذ السيد يشرح له وضع البلاد وما وصلت إليه من تدهور وانحطاط بحيث صارت محلا لأطماع الإنجليز والروس ، فأجهش الصدر الأعظم بالبكاء وأجابه بقوله : إن كل ما قلته حق لا جدال فيه ، ولا مجال لإنكاره . ولكن هذا الرجل – يقصد الشاه ناصر الدين – لا يحب أن تتغير الأحوال ، لأن كل همه أن يقضى أوقاته فى لهو وفراغ بال ، فلن يحاول عمل شئ قد ينغص عليه عيشه ، ويعجل بنهايته ، ونحن – مع علمنا بأن الشعب يكرهنا ويرمينا بالخيانة – لا نستطيع القيام بأى عمل لإصلاح حال البلاد وتحسين أمور العباد » .

وقد وجهت الحكومة الإيرانية – بأمر من الشاه ناصر الدين – الدعوة إلى جمال الدين ثلاث مرات لزيارة إيران ، وكان جمال الدين يلبى الدعوة مسرورا ، ويسرع بالمجئ إلى إيران ، ثم يشير على المسئولين فيها بالقيام بإصلاحات لتحسين الأحوال السيئة فى البلاد ، غير أنه كان يقابل – فى كل مرة – بمعارضة شديدة من هؤلاء المسئولين المنافقين المحيطين بالشاه ، ثم لا يلبث هؤلاء أن يشككوا الشاه فى نوايا لجمال الدين ويحذروه من تركه يقيم فى إيران ، خشية أن يدبر مؤامرات ضده ، ويوهموه بأن هدف جمال الدين الأسمى هو إقصاؤه عن الحكم ، فيخاف الشاه ، ويصدر أوامره بإخراج جمال الدين من البلاد .

وكان جمال الدين لا ييأس أبداً ، ولا يدع للوهن سبيلا إلى عزيمته الصلبة ، فكان يحاول فى كل مرة أن يدعو إلى الإصلاح ، وكان يفرق بين الملك وبطانته ، وبين الشعب الإيرانى نفسه ، وكان يردد – دائما – أن فى الشعب الإيرانى حيوية كافية لابد أن تظهر يوما ما ، وأن فى أفراده ذكاء خارقا يؤهلهم للتطور والرقى وبلوغ أعلى مراتب الكمال حين تتهيأ لهم الظروف المناسبة .

---

(١) « شاه عبد العظيم » واحد من أبناء أئمة الشيعة الذين لهم أطرحة تزار للتبرك بها حتى ولم تكن هناك معلومات كثيرة عن تاريخهم وهو يوجد بالرى إحدى ضواحى طهران فى الوقت الحاضر ، وكانت هى العاصمة قديما بينما كانت طهران إحدى ضواحيها (المترجم) .

وقد ظل جمال الدين يجوب البلاد شرقا وغربا وينتقل بين مختلف الدول ، ولكنه كان يذكر إيران وطنه أينما ذهب ويتمنى أن تتهيأ له الظروف التى تساعده على تشييد صرح الوحدة الإسلامية واتخاذ إيران مركزا لها ، فلما يئس من تحقيق هذا الهدف الأسمى ، أخذ يحاول إيجاد وحدة إسلامية تحت زعامة الدولة العثمانية .

وقد جاء فى المقالات الجمالية ما يثبت هذا ، فقد ورد فيها ما يأتى :

« كان السيد جمال الدين لا يرجو خيرا من إيران مادام الشاه ناصر الدين القاجارى على رأسها ، وكان الشاه المذكور يعلم هذا حق العلم ، فكان يخشى السيد ويتضايق من أحاديثه وأفكاره ، ويتميز غضبا وغيظا من جرأته وصراحته .. فمثلا قال ناصر الدين له بعد وصوله إلى طهران للمرة الثانية : « ياسيدنا لقد أتيت أهلا ونزلت سهلا ، فقل الآن ما تريده وما تطلب منى أن أفعله » .

فقال جمال الدين : « أريد شيئين ؛ أذنا صاغية تسمع ما أقوله ، وإرادة قوية تأمر بتنفيذ ما سمعته » .

فتهيب الشاه ناصر الدين من هذه الجرأة فى الحديث معه بهذا الأسلوب ، وخشى بقاءه فى البلاد ، ثم أمر بإخراجه منها .

وليس عجيبا – بعد هذا – أن يتآمر جمال الدين على الشاه ناصر الدين ويحرص على قتله ، فقد جاء فى المقالات الجمالية مايلى :

« ولما ألقى جمال الدين عصا الترحال بعد زيارته الأخيرة لإيران صمم على الإقامة فى الآستانة والبقاء فيها ، واجتمع حوله مريدوه وكانوا من الإيرانيين ، ثم جاءه رجل هارب من إيران ، يدعى « ميرزا رضا الكرمانى » وكان يعرفه من قبل ، فلما سأله عن سبب فراره من إيران قال له .

« كنت أشتغل بالتجارة فى طهران ، فاشترى أحد أبناء الشاه المسمى « كامران ميرزا » منى بضاعة ، وأمرنى أن أذهب إلى داره لقبض ثمنها ، غير أنه أخذ يماطلنى ويحدد لى مواعيد مختلفة – دون جدوى – حتى انقضت ثلاث سنوات ، فطلبت منه أن يرد البضاعة أو يدفع نصف ثمنها ، ولكنه رفض ثم لم

يلبث أن أمر بضربى وحبسى ، غير أنى دبرت وسيلة للفرار من السجن والنجاة بنفسى ، وإن كنت نادما أشد الندم على ما فعلته ، فقد ضاعت منى فرصة الأخذ بالثأر بعدما أصابنى من خسارة وذل وهوان .. حقا لقد كان يجب على أن أنتقم لنفسى من هذا الأمير الغاشم الغادر » .

فقال له جمال الدين : « وكيف كنت تنتقم لنفسك لو كنت فى إيران ؟!! .. » .

فقال : « كنت أقتل الأمير ... » .

فقال له جمال الدين : « فما الفائدة إذن من قطع الغصن مع بقاء الأصل ؟!... إن الأولى اجتثاث الشجرة من جذورها .. » .

وقد تأثر ميرزا رضا الكرمانى بكلام جمال الدين غاية التأثر وصمم على العودة إلى إيران وقتل الشاه ناصر الدين ، واستئصال شجرة الظلم من جذورها مهما كلفه هذا الأمر ، ولم يلبث أن رجع إلى إيران خلسة ، ثم اغتال الشاه ناصر الدين فى يوم ١٧ من شهر ذى القعدة من عام ١٣١٣ هـ (١٨٩٦ م) .

وقد أدت هذه الحادثة إلى كشف حقيقة جمال الدين أمام السلطان عبدالحميد العثمانى فأيقن أن جمال الدين إيرانى الأصل ، شيعى المذهب ، وكان كشف هذه الحقيقة ضربة قاضية على جمال الدين ، فقد أرسل الشاه مظفر الدين ابن ناصر الدين وثيقة إلى علاء الملك سفيره فى تركيا تثبت أن جمال الدين إيرانى الأصل وأنه يختفى فى ثوب أفغانى ويتخذ المذهب السنى ستارا يحتمى به فى أثناء إقامته فى ديار الدولة العثمانية السنية ، وسلم سفير الشاه الوثيقة للحكومة التركية فعرف السلطان العثمانى حقيقة جمال الدين ، ودبر وسيلة للتخلص منه بدس السم له ، وكانت هذه الوسيلة هى طريقة السلاطين العثمانيين للتخلص من الذين لا يرغبون فى بقائهم على قيد الحياة .

ومن المعروف كذلك أن جمال الدين كان له دور واضح ملموس فى إلغاء امتياز التبغ الذى منحه الشاه ناصر الدين لإحدى الشركات الأجنبية ، وأنه ذهب لمقابلة العالم الأكبر والمرجع الأول للشيعة فى ذلك الوقت – ميرزا حسن

الشيرازى – فى مدينة سامراء ، وقدم له مذكرة ضمنها الأدلة والبراهين القاطعة التى تثبت فساد الشاه ناصر الدين وعدم أهليته لحكم بلد من بلاد المسلمين ، وبين فى هذه المذكرة الأضرار التى تلحق بإيران والعالم الإسلامى من جراء استعمال التبغ .

والمذكرة منشورة متداولة ، وهى تبدأ باصطلاحات خاصة بالشيعة فى مخاطبة كبار علماء الدين منهم ، وهى اصطلاحات وألقاب لم تكن مستعملة عند غير الإيرانيين من المسلمين .

وقد ترتب على هذا أن « ميرزا حسن الشيرازى » أفتى بتحريم استعمال التبغ ، والتعامل مع الشركة الإنجليزية – التى حصلت على امتياز التبغ الإيرانى – الأمر الذى أدى إلى إلغاء هذا الامتياز وتأميم تجارة التبغ الإيرانى ويعد هذا أول تأميم حدث فى البلاد الإسلامية .

وهذه الأحداث كلها شواهد صدق على أن جمال الدين كان إيرانيا شيعيا ، إذ ليس من المعقول أن يهتم غير إيرانى بأحداث إيران كما اهتم جمال الدين ، فاهتمامه بأحداث إيران وأوضاعها وإشادته بالإيرانيين وذكائهم وتمرده على الأوضاع الفاسدة فى إيران وتحريضه على قتل ملكها ، وتعريضه نفسه للخطر والهلاك من أجل الإطاحة بهذا الملك ، كل ذلك يثبت – بما لا يدع مجالا للشك – أنه كان إيرانيا شيعيا ، ولم يكن أفغانيا سنيا كما بدا أمام الناس .

بل لقد ظهر تعصب جمال الدين لإيران وللمذهب الشيعى فى اختياره لمن يقوم على خدمته ويعنى بمصالحه الخاصة ، فقد اختار خادما إيرانيا يدعى « أبا تراب » ، وكان هذا الخادم ملازما له أينما ذهب ، كما كان أمينا على أسراره الخاصة .

و « أبو تراب » اسم من الصعب وجوده فى غير إيران ، فهو من الأسماء التى يتسمى بها الإيرانيون دون غيرهم ، لأنه لقب من الألقاب الخاصة بأمير المؤمنين على بن أبى طالب – رضى الله عنه – .

وكون خادمه يسمى « أبا تراب » من القرائن الدالة على أن جمال الدين إيرانى شيعى ، كما أن حرصه على أن يكون توقيعه « جمال الدين الحسينى » يدل على ذلك ، لأن لقب الحسينى له معنى خاص عند الإيرانيين الذين يتعلقون بعلى وآله بعامة وبالحسين بن على بخاصة ، ويعدونه سيد الشهداء ، وقد كان جمال الدين يعد نفسه من نسله .

هذه كلها دلائل تجعلنى أقطع بأن جمال الدين كان إيرانيا شيعيا ، ولم يكن أفغانيا سنيا ، أما اشتهاره بين الناس منسوبا إلى بلاد الأفغان ، فكان وسيلة للوصول إلى أغراضه وتحقيق أهدافه التى توفى قبل أن يحققها ، نتيجة للظروف التى أحاطت به ، وأدت إلى اكتشاف أمره وظهور حقيقته ، وموته مسموما بعد كشف هذه الحقيقة أمام السلطان العثمانى السنى .

وقد أردت بهذه الدراسة الموجزة لأصل جمال الدين وحقيقته أن أكشف جانبا من جوانب شخصية هذا المصلح المعروف ، وأن ألقى ضوءا كاشفا على أصله وحقيقته ، لتتضح هذه الحقيقة وضوحا لايدع مجالا لأدنى شك بعد ذلك ، لأن الحقيقة العلمية هى غاية الدارسين – كما ذكرت – ، فأردت إثباتها ، لأسكت أصوات الجدل التى ترتفع بين حين وآخر بعد أن تسفر الحقيقة عن وجهها ، وتتضح وضوحا تاما لايدع مجالا لأدنى شك .

وأنا حين أثبت هذه الحقيقة أؤدى – فى اعتقادى – خدمة لتاريخ الشرق الإسلامى الحديث بعامة ، ولتاريخ البلاد والشعوب التى زارها جمال الدين وأقام فيها بخاصة .

ولست فى حاجة إلى أن أذكر أن كشف حقيقة جمال الدين وإثبات أنه إيرانى شيعى لايعد إفحاما لمن يظنون أنه أفغانى سنى ، كما لا يعد مفخرة للإيرانيين ، لأن المصلحين من المسلمين ملك للمسلمين جميعا ، لأن جمال الدين كان يدعو إلى توحيد الدول الإسلامية ، وجمع شمل المسلمين فى وحدة شاملة ترفع قدرهم وتعلى شأنهم .

وقد آثرت أن يكون ما كتبته لإظهار حقيقة جمال الدين مقدمة لهذا الكتاب الذى ترجمته عن الفارسية ، وهو الكتاب الذى ألفه ابن أخته « **ميرزا لطف الله خان الأسد آبادى** » وضمنه معلومات عن جمال الدين وأعماله وآثاره .

وتنحصر أهمية هذا الكتاب فى دقة الوقائع التى ذكرها المؤلف عن خاله جمال الدين ، وصحة التواريخ التى ذكرها للأحداث المختلفة ، وهى من الأمور ذات الأهمية عند المؤرخين بخاصة والدارسين بعامة .

وبرغم صلة القرابة التى تربط بين المؤلف وخاله الذى يكتب عنه فإن المعلومات التى تضمنها الكتاب تلقى أضواء كاشفة على شخصية جمال الدين وأعماله وآثاره ، وإن كانت لاتخلو من التعصب والتحيز والمبالغة فى وصف نبوغ جمال الدين المبكر وذكائه الخارق وشخصيته الجذابة التى جعلته زعيما وموجها منذ شبابه الباكر ، بصورة ملفتة للأنظار ، قَلّ أن يرى التاريخ لها مثيلا .

ولكن الباحث المنصف يستطيع أن يستخلص الحقائق بسهولة ويقيم دراسته لجمال الدين مستفيدا من سرد الأحداث المتعلقة به فى مراحل حياته المختلفة بدقة وتسلسل وصحة فى تواريخها دون تأثر برأى المؤلف فى خاله وإعجابه بكل أعماله وتصرفاته وتمجيده لذكائه الخارق ونبوغه المبكر ، ومقومات الزعامة فى شخصيته .

على أن المبالغة فى ذكر محاسن جمال الدين لاتنفى وجود مثل هذه المحاسن بدرجات متفاوتة ، وصور متنوعة .

وقد آثرت أن أضم إلى الكتاب بعض ما كتب عن جمال الدين من مقالات فى الصحف والمجلات ، وهى مقالات كتبها معاصروه وزملاؤه وأصدقاؤه ومريدوه ، كما ضممت إليه شيئا مما كتبه جمال الدين عن نفسه ، وهو يعد من ألوان السيرة الذاتية ، وترجمت هذه الأشياء جميعها عن الفارسية حتى يستكمل القارئ معلوماته عن جمال الدين وأفكاره ودعوته الإصلاحية ، فيستطيع إدراك الحقيقة بعد الإحاطة بهذه المعلومات جميعها .

وهناك مجموعة من الرسائل نشرت أخيراً عن جمال الدين إلى جانب مذكراته . سوف يتضمنها كتاب آخر لاحق بعد ترجمتها إلى العربية مع التعليق عليها وتقديم دراسة لها بعون الله وتوفيقه ، وأرجو أن يكون هذا الكتاب فصل الخطاب فى موضوع جمال الدين الذى مازال يحظى باهتمام الناس إلى يومنا هذا .

والشئ الذى لا شك فيه أن سيرة جمال الدين تستحق الدراسة وفيها ما يصلح للعبرة والتأسى ، ومما لا شك فيه - كذلك - أن الحياة بخيلة بالرجال الأفذاذ - من أمثال جمال الدين - فهى لا تجود بهم فى كل وقت وحين ، ولا سبيل إلى معالجة بخل الحياة بكبار المصلحين إلا بتقدير هؤلاء المصلحين متى جادت بهم الحياة ، ودراسة سيرهم وأعمالهم ، والإبقاء على مبادئهم الإصلاحية لتستفيد منها الأمة الإسلامية فى مختلف العصور ، وتستمد منها ما كانت تستمده من المصلحين أنفسهم فى أثناء حياتهم ، وتستفيد منها ، وتجنى ثمار هذه الاستفادة بين الحين والحين .

ولعل هذا هو الذى دفعنى إلى معاودة الحديث عن جمال الدين ، ومحاولة إضافة حلقة جديدة إلى سلسلة الدراسات المتصلة به ، لكشف جانب من جوانب شخصيته ، وتصحيح خطأ اشتهر حتى كاد يغطى على حقيقة جمال الدين .

وأنا أعتقد أن الحديث عن جمال الدين جديد فى كل حين ، لأننا محتاجون - دائما - إلى دراسة الدعوات الإصلاحية الإسلامية ، لأن مثل هذه الدعوات لا تبلى جدتها ، ولا تفقد روعتها ، مهما طال عليها الزمان ، وتعاقب عليها الحدثان ، بل إن كثرة الحديث عنها من وسائل المحافظة عليها ، والدعوة إلى الاستفادة منها .

وإنه لمن فضل الله العلى القدير ، ومن يمن الطالع أن يظهر هذا الكتاب الصغير فى وقت توجد فيه نهضات متوثبة فى الدول الإسلامية المختلفة ، ورغبة صادقة فى التقدم والتآلف والأخذ بأسباب العزة والكرامة ، والعمل على استرجاع الأمجاد السالفة ، وإعادة بناء صرح الحضارة الإسلامية الفاضلة ، وهذه أشياء كان جمال الدين نفسه يدعو إليها ، ويتمنى تحقيقها .

ولاشك فى أن أروع إحياء لذكرى جمال الدين أن تخرج أفكاره إلى حيز التنفيذ ، حتى يونع غرسه ويثمر ويؤتى أكله كل حين بإذن ربه ، فتستقر روحه الهائمة ، حين تصبح مبادئه حية قائمة .

والله أسأل أن يأخذ بيد الأمة الإسلامية إلى طريق الهدى والرشاد ، وأن يهديها الصراط المستقيم حتى تظفر بالسعادة والعزة والكرامة فى الدنيا والآخرة .

والله ولى التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل

المدينة المنورة فى ٧ ربيع الأول من عام ١٤٠٥ هـ
الموافق ٢٩ نوفمبر من عام ١٩٨٤ م

obeikandl.com

فاتحـــة

يقول الحكماء : « إن تقدير العظماء من الرجال وتكريمهم دليل على أصالة الأمم وعظمتها » .

وهذا الأمر لا يتعلق بصلات الأفراد بعضهم بالبعض الآخر ، بل يتعداه إلى حياة الأمم الاجتماعية ، وله خطره وأهميته ، وله من الفائدة ما لحفظ الآثار القديمة والفنون الجميلة .

وإظهار التقدير والاحترام بالنسبة لمشاهير الرجال وأصحاب الفضل في أمة من الأمم هو الذي يعمل على حفظ اسمها وسمعتها من الزوال ، ويكون سببا في إعلاء شأنها ، وتخليدها في التاريخ ، ويوجه إليها أنظار المحققين ، كما يكون باعثا على تشجيع أفراد الأجيال الحاضرة ، وتنمية عزة النفس وقوة الإرادة فيهم ، فيدفعهم هذا إلى العمل والسمو والرفعة .

ولما كان الباحث عن أي عمل من أعمال البشر إما أن يكون ماديا أو معنويا – أي أن كل عمل من أعمالنا يقوم على الأمل في فائدة مادية أو معنوية – فإننا نجد دائما الآمال والدوافع العظيمة في مثل هذه الأعمال ، وهي تدفع إلى تقديم التضحيات الضخمة ، والاستهانة بكل شيء في سبيل الوصول إلى الغاية المنشودة .

ولا شك أن تخليد ذكر العظماء والإشادة بما قاموا به من أعمال يعد نوعا من التكريم والتبجيل لهم ، فضلا عن أنه يقوي روح التضحية والعمل في نفوس الآخرين .

فالتقدير إنما هو مكافأة اجتماعية ، وتجب رعايته لا فى حق الأحياء فحسب بل في حق الأموات أيضاً ، حتى يتشجع الأحياء ، ويعدوا أنفسهم للقيام بالأعمال الخطيرة .

وينبغى أن نضع نصب أعيننا مسألتين هامتين ، ونحن نقدر الرجال وأعمالهم ، وهما مسألتان قد يخطئ أغلب الإيرانيين في فهمهما وتمييزهما : أما المسألة الأولى فهي أن تقدر أعمال الشخص على ضوء الظروف التي وجدت في عصره لا بحكم الظروف التي كانت قبله ، أو التي تكون بعده . فمثلا إذا أردنا أن نعرف بالأعمال التي أداها ملك أو فيلسوف أو عالم أو أديب أو شاعر ، فيجب أن نأخذ في اعتبارنا أوضاع العصر الذي عاش فيه ذلك الشخص ، وأن نلمس النتائج التي ترتبت على خدماته وأفكاره ، حتى يمكننا بذلك أن نقدر قيمة أعماله وأهميتها . أما إذا عملنا غير ذلك فقسنا أعماله وفقا لمقتضيات زماننا ، فإننا سنقع في الخطأ كما يخطئ معظم المحدثين في إيران ، فيعدون أغلب العظماء والأدباء والمفكرين والعلماء من الإيرانيين عارين عن كل ميزة أو فضل .

أما المسألة الأخرى فهي أنه لو استعمل أحد العباقرة غاية ذكائه وقدرته ولباقته ، دون أن يُوَفَّق في الوصول إلى أهدافه السامية نتيجة لتضافر الموانع المختلفة أو لقصر أجله ، فإنه لا ينبغي التقليل من مكانته ورفعته ، لأن الجهاد في سبيل الحق يجب أن يقبل ويقدر ، حتى ولو لم يؤد إلى نتيجة تناسب ما بذل من جهد ، لأن الأساس هو حسن النية وسلامة الهدف .

وبناء على هذا الأساس يمكن أن يعد السيد جمال الدين الأسد آبادي أحد النوابغ السياسيين والمفكرين في هذا القرن الأخير ، ولو أن هدفه الأساسي ، وغايته السياسية كانا توحيد العالم الإسلامي ، واتحاد المسلمين ، وهو موضوع لا يعطى قيمة عملية ، وأهمية اجتماعية في الوقت الحاضر ، لأنه اختفى أو كاد يختفي . ورغم أن السيد المعظم لم يظفر بتوفيق كبير في تنفيذ أفكاره ، والوصول إلى هدفه ، لأن جهل الدول الإسلامية وغفلتها ، قد حالا دون جني ثمار شجرة فكرته العظيمة ، إلا أن مقامه بين العلماء والساسة والمفكرين في الشرق والغرب مازال رفيعا ، وسوف يعد دائما من مفاخر إيران وأسباب عظمتها ، لأنه يمكن

القول بأن أغلب النهضات العلمية والسياسية – التي قامت في الدول الإسلامية في العصر الحديث – قد استمدت عناصرها من منبع دعوته وتعاليمه .

وإنه ليجب على كل إيرانى أن يفتخر دائما بوجود مثل هذا الرجل العظيم الذي كان له مثل هذا النوع من نفاذ الكلمة ، وإصابة الرأي ، وكان موضعا لكل هذا التقدير والاحترام ، لا في وطنه فحسب بل في أغلب الأقطار الإسلامية ، وعند أهم الشعوب الغربية . كما ينبغي على إيران أن تسجل اسمه في عداد نوابغها الممتازين في التاريخ ، فإن هذه هي خير طريقة لشكر النعمة التي أنعمها الله عليها بخروج مثل هذا الرجل منها ، كما أنها نوع من إظهار التقدير له ، وليكون – في الوقت نفسه – مثالا للعزم ، وعلو الهمة أمام أعين الشباب من الجيل الجديد .

وقد كتب هذا الكتاب الذي يعد الجزء الأول من شرح حال السيد جمال الدين بقلم المرحوم لطف الله خان الأسد آبادي ابن أخت السيد جمال الدين ، فلما توفي لطف الله خان في عام ١٣٤٠ هـ ، نسخه ابنه الفاضل السيد صفات الله الأسد آبادي ، وأرسله إلى إدارة إيرانشهر لطبعه وكتب في شأن والده ما يأتي .

« كتب والدي المرحوم تاريخ حياة السيد جمال الدين السعيدة من يوم ميلاده حتى وفاته – مسموما في إسلامبول على يد الظالمين – مثل أجداده الطاهرين . وكان ذلك في أيام حياته ، حيث إن تاريخ حياة هذا البدر المنير قد بقيت مجهولة إلى حد ما فى إيران ، وبعض الجهات ، ولذا فقد قمنا بنسخه تلبية لرغبة جناب السيد الحسيب محمد حسن خان آزرمى الأسد آبادي الذي يعد من أبرز الشباب الأحرار المثقفين ، ويسرني أن أقدمه إلى تلك الإدارة المحترمة .

وكان المرحوم ميرزا لطف الله خان يعد في زمرة الأحرار المثقفين ، وكانت مقالاته القيمة – التي تحمل أدبه الرفيع – تنشر في جرائد العاصمة ، وكان من الذين استقوا من فيض فيلسوف المشرق حضرة السيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني ، وكان ملازما له في أثناء زيارتيه لعاصمة إيران ، فاستفاد من فيوضاته المعنوية ، ومكارم أخلاقه الذاتية ، وكان يلازمه ملازمة الظل حتى يغادر إيران .

وهو الذي كان ينسخ مقالات السيد التي كتبها بالفارسية وفضلا عن كونه ابن أخته ، فقد كانت تربطه بالسيد صلة معنوية أخرى ، وتشهد بذلك القصائد والمثنويات التي نظمها في حقه ، كما كان السيد يحب المرحوم والدي حبا خاصا ، فكان كثيرا ما يظهر عطفه عليه أمام الرفيع والوضيع » .

وفيما يلي نص الخطاب الذي أرسله إلى والدي من باريس .

« قرة عيني ميرزا لطف الله ... .

وصلني خطابك الذي ينبئ عن حسن طويتك ، وطهارة سريرتك ، ولياقتك الذاتية ، واستعداداتك الفطرية ، فسررت به كثيرا ، وخصوصا بعبارته التي كانت في غاية التناسق ، وبأسلوبه الرائع ، فضلا عن تشبيهاته الأنيقة ، واستعاراته البديعة ، فما أروعك من أديب بارع ، إن الأدب للشباب زينة وكمال ، ولكن يجب ألا تقنع بهذا القدر ، لأن القناعة بحد محدود من درجات الكمال – التي لا حد لها ولا نهاية – تعد دليلا على قصر الهمة ، وضعف العزيمة .

وقد ذكرت أنك تريد السفر إلى باريس لزيارتي ، وإن كنت تريد زيارتي فعليك إطاعتي ، وليس الوقت الآن مناسبا للسفر ، وسوف أفكر في دعوتك في الوقت المناسب ، فإذا خالفت أمري ، وأتيت إلى هنا ، فإني أقسم بالله أنك لن تراني في باريس .

بلّغ تحياتي إلى الأحياء من الأصدقاء ... وطالع كتاب « مكارم أخلاق ناصري » في الأخلاق .

جمال الدين الحسيني

• • •

وقد كتبت بعض التفاصيل عن حياة السيد جمال الدين في كتب الأوروبيين والعرب والفرس ، ولكن هذه الكتابات لم تقطع حتى الآن بشيء محقق عن مولده وأصله ونسبه ، مما أدى إلى الشك والتردد في كونه من أسد آباد بإيران .

وهذا الكتاب كفيل بأن يزيل كل شبهة وشك مما علق في الأذهان ، وأن يثبت أن جمال الدين كان إيرانيا أسد آباديا ، ولا يزال أقاربه وبنو رحمه يعيشون في أسد آباد حتى الآن ، ومع ذلك فإن كثيرا من الناس مازالوا يشكون في أنه إيراني أسد آبادي ، ولكن الكتاب سيقرر حقائق لا تدع مجالا للشبهة .

وقد أحاط ميرزا لطف الله بجميع أحوال السيد جمال الدين في أثناء ملازمته له في زيارته لإيران وسجل ذلك في أمانة وصدق ، وكان يلازمه دائما وقد ظهرت صورة ميرزا لطف الله في الصورة التي التقطت للسيد جمال الدين مع زمرة من العلماء في طهران في أثناء إقامته فيها وكان في الصورة يقف خلف السيد تماما .

كما أن البحث الذي كتبه تقي زاده في مجلة « كاوه » التي كانت تطبع حينذاك في برلين يعد من خير ما كتب عن حياة السيد جمال الدين باللغة الفارسية ، فقد لخص فيه نتيجة أبحاث الأوروبيين وتحقيقاتهم ، ولكنه لم يقطع بأن السيد إيراني ، وإن كان قد قال في آخره « إن كون السيد إيرانيا أمر يقرب من اليقين » . وقد كتب في الصفحة العاشرة من العدد الثالث من تلك الجريدة ما يلي .

« يروي أحد المعارف الذي كان مقيما مع السيد في أثناء وجوده في طهران ، وممن اتصلوا به عدة مرات في روسيا أن شابا إيرانيا عرف فيما بعد أنه ابن أخته كان معه في أثناء سفره الأول إلى طهران ، وكان مع السيد بعض صناديق بها كتب عربية ، فأرسلها بواسطة هذا الشاب إلى همدان » .

وهذا الشباب هو – بغير شك – ميرزا لطف الله خان بالذات ، لأنه هو نفسه يذكر في هذا الكتاب أن السيد ترك كتبه في بضعة صناديق – بواسطته – أمانة في دار الحاج أمين الضرب .

وكان المرحوم ميرزا لطف الله خان حيا في عام ١٣٣٩ هـ . أي في وقت طبع مجلة كاوه فاستفاد أيضاً من هذا الشرح الذي ورد ذكره في كاوه ، حتى إنه استعمل عبارة كاوه عينها ، واستعارها في بعض الأماكن .

والواقع أن ما كتبه ميرزا لطف الله خان يلقى ضوءا على كثير من المعلومات الخاصة بحياته ، خصوصا في أيام صباه ، ويسطر أحاديثه مع ناصر الدين شاه ، وهي معلومات لا يمكن الحصول عليها في أي كتاب من الكتب التي تحدثت عن السيد ، ورغم أنه يورد – في بعض الوقائع – تاريخا يختلف عما كتب في المراجع الأخرى ، إلا أننا لم نمسها بل تركناها كما هي .

وكنا – كما ذكرنا في المجلة – قد عزمنا على طبع جميع آثار السيد الفكرية وكتاباته التي جمعها ميرزا لطف الله خان في مجلد واحد ضخم ، فضلا عن طبع هذا التعريف به ، وهي أشياء لم تطبع حتى الآن في أي كتاب ، ولهذا السبب رجونا الفضلاء والأدباء وأولي العلم في داخل إيران وخارجها أن يوافونا بكل جديد لم يذكر عن حياة السيد وأفكاره وأعماله وآثاره ، حتى نضمه إلى هذا السفر ، خدمة للعلم ، وتخليدا لمجد إيران ، ولكن نظرا لعدم إبداء عون كاف لتغطية نفقات طبع الكتاب من ناحية ، ولعدم وصول معلومات إلا من ثلاثة أشخاص هم السيد ميرزا عنايت خان عدالت ، والسيد سيد محمد توفيق – الذي كان من أقارب السيد – والسيد ميرزا حسين دانش ، من جهة أخرى ، فقد اكتفينا بطبع هذا الجزء من الكتاب في الوقت الحاضر ، وسننشر ما كتبه السادة المذكورون في ملحق نضيفه إلى آخر الكتاب لما فيه من معلومات مفيدة .

كما ضممنا إلى هذا الملحق ما كتب في جريدة « وطن » التركية التي تصدر في إسلامبول بقلم عيسى خان الأفغاني ، والقطع والأشعار التي نظمها السيد ميرزا لطف الله خان ، وحاج سيد هادي ، وميرزا صادق البروجردي في مدح السيد مزيدا لاستفادة القراء .

ونرى واجبا علينا أن نشكر في هذا المقام – باسم معارف إيران – السيد ميرزا علي محمد الكاشاني الذي تبرع بمبلغ أربعين جنيها لتغطية نفقات طبع هذا الجزء . ونرجو أرباب الهمة أن يظهروا مثل هذا الكرم في طبع الجزء الثاني ، وأن

يرسل إلينا أولو العلم – أيضاً – كل ما يعرفونه عن حالات السيد وأفكاره وأعماله ، حتى نضمها إلى الجزء الثاني .

ولن نكتب شيئا في هذا الجزء عن شخصية السيد وأفكاره الفلسفية ، وعقائده الاجتماعية .

وسوف نجعل الجزء الثاني – إن شاء الله – يضم مقالاته ، وخطاباته ومذكراته وتأليفاته ، وخصوصا مباحثاته مع الفيلسوف والكاتب الفرنسي المعروف « ارنست رنان » كما سنكتب شرحا لعقائد السيد وأفكاره الفلسفية والاجتماعية وتعليقنا عليها .

ونكتفي الآن بذكر أن حياة هذا النابغة الإيراني المضطربة المزعجة ، وإرادته الثابتة ، وقوة احتماله ينبغي أن تكون قدوة لكل من يطلب المجد والرفعة .

برلين آذرماه ١٣٠٤ هـ . (نوفمبر ١٩٢٥ م) .

حسين كاظمزاده إيرانشهر

obeikandl.com